

بسمه تعالى

## مبادئ و أسس الحكمة المتعالية فيما يخصّ تطوير العلاقات الإنسانية

مرتضى واعظ جوادى<sup>1</sup>

لا جرم في أنّ بسط البحث في الحكمة المتعالية و تعميقه على جميع المستويات في الميادين الثلاثة الأنطولوجيا و الأبتيمولوجيا و الأنثروبولوجيا، يتيح للإنسان، شئنا أم أبينا، مستلزمات بسط فائقة السعة ممّا كانت عليه في الفلسفات المتقدمة على الفلسفة الصدرائية.

إنّ الكمال الإنساني رهن بأسباب و عوامل عدّة و مختلفة، و كلما كانت تلك العوامل أوسع و أعمق، كان مجال التعالي و سعة الحضور الإنساني أكبر و أوسع.

فالأنطولوجيا في الحكمة المتعالية متفاوتة و متميزة عن الفلسفات السابقة عليها كمّاً و نوعاً. و من حيث أنّ العلاقات الإنسانية تقوم على هذه الدعائم الثلاث، فمن المناسب أن نمّر عليها سريعاً من وجهة نظر الحكمة الصدرائية.

### الأنطولوجيا

في هذا المجال، ترى الحكمة المتعالية مدى الوجود و سعته واجبة و ممكنة إلى أقصى الحدود لدرجة أنّها اعتبرته من حيث الكمية محض القبول و الاستعداد إلى محض الشدّة و الفعلية، و من حيث النوعية أيضاً فإنّ الإمكان يذهب إلى حدّ الإمكان الفقري و وجود الممكنات في حدّ الوجود الرابط و الوجوب إلى حدّ بسيط الحقيقة.

### الأبتيمولوجيا

على صعيد الأبتيمولوجيا، فإنّ ولوج الحكمة الصدرائية في موضوعات الوجود الذهني و العلم و اتحاد العاقل و المعقول و كذلك الولوج إلى المعرفة الشهودية و التأييد العلمي و العملي لها قد فتح أمام الإنسان مجالاً عظيماً من المعرفة.

### الأنثروبولوجيا

<sup>1</sup>. عضو الهيئة العلمية و رئيس مؤسسة إسراء الدولية.

و في مجال الأنثروبولوجيا، يعتقد صدر الدين الشيرازي أنه بتوسيع العقلانية و الارتباط بالعقل الفعال و الاستفادة من هذا الارتباط أو الاتحاد بالعقل الفعال فإنّ نطاق كمال الإنسان سوف يتّسع بشدّة، و بالاستفادة من العقليين العملي و النظري و كذلك استناداً إلى الاشتداد الوجودي و الحركة الجوهرية للذات فإنّ حقيقة الإنسان سوف تمتدّ.

في ضوء هذه الميادين المعرفية الواسعة، فإنّه كلما تعمّقت علاقة الإنسان بهذه المجالات الثلاثة، تجلّت إمكانية الإنسان في العالي و الكمال. من ناحية أخرى، و في ضوء الدرجات الوجودية للإنسان و تشكيكية الحقيقة الإنسانية بما في ذلك التشكيك الطولي و العرضي، فإنّ نطاقاً أرحب من التكامل سوف يتاح للإنسان في ظلّ مختلف المجالات الاجتماعية و السياسية و الثقافية.

بالإضافة إلى ما تقدّم، ترى الحكمة المتعالية أنّ حقائق عالم الوجود برمتها، بما فيها الإنسان، لها ذوات، و أنّ الهوية الإنسانية تكتمل بالجهاز الباطني لبلوغ السعادة، و لكن من جهة أخرى، فقد فتح العالم المعاصر أمام الإنسان آفاقاً رحبة بحيث صار البعض يعتقد أنّ القضايا الثقافية و الاجتماعية و السياسية هي العناصر المؤلفة للهوية و الحقيقة الإنسانية، و أنّ الإنسان يتشكّل على مدى تاريخ البشرية، و أنّ هذه العلاقات تلعب دوراً محورياً في تشكيل هوية الإنسان، فإلى أيّ مدى تنسجم هذه النظرية مع مبادئ الحكمة المتعالية.

بصورة عامة، و في معرض الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من القول بأنّ الحكمة المتعالية تؤكّد على ضرورة جميع هذه العلاقات استناداً إلى الحركة الجوهرية و تبعيتها لحركة الأعراض، و تؤمن بالإنسان الاجتماعي، لكنّها في الوقت نفسه تعتقد بأنّ هذا النوع من العلاقات يجب دراسته و تطبيقه من زوايا السياسة و الثقافة و الاجتماع لتكون الشريعة أساس السياسة و الثقافة. فبالنسبة للمجتمعات التي تؤسّس علاقاتها على عقولها الخالصة، و بالتالي تجد نفسها غريبة على تعاليم الوحي و غير معنية بها، لن تكون هذه العلاقات غير مؤثّرة على حركة الإنسان نحو الكمال فحسب، و لكن نظراً لكون الإنسان، طبقاً لأسس الحكمة المتعالية، نوعاً متوسطاً، فلربما تم استثمار هذه العالي و التكامل في الاتجاهات الثلاثة عنيّت الشيطانية و البهيمية و السعية، ليكون مصير الإنسان في نهاية المطاف سوء المآل الأبدي.